199021 ـ سوء خلق الداعية عقبة في طريق الدعوة .

السؤال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بأحبكم إلى الله ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة)، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (أحسنكم خلقا) .

في ضوء ماتقدم من الأحاديث :

ـ هل يبطل سوء الخلق الإيمان أو ينقضه ؟ أو هل سوء الخلق نقص في الإيمان ؟ ـ وهل يحبط سوء الخلق الأعمال ؟

ـ ماذا لو أصر " الملتزم " على سوء الخلق بعد النصح والتحذير ، هل يعتبر هذا إصرار على المعصية ؟

ـ ما هو ضرر سوء الخلق على الدعوة إلى الله عز وجل ؟

ـ وأخيرا : ماذا نقول للملتزمين الذين بقوا على سوء خلق فاضح ، وسيرة سيئة مع عصاة المسلمين ، وغير المسلمين ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

روى الترمذي (2002) وصححه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي" .

قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله :

" أُوقِعَ قَوْلُهُ : (وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ) مُقَابِلًا لِقَوْلِهِ : (إِنَّ أَثْقَلَ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ) دَلَالَةً عَلَى أَنَّ أَخَفَّ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ هُوَ سُوءُ الْخُلُقِ ، وَأَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْخُلُقُ السَّيِّئُ أَبْغَضُهَا ؛ لِأَنَّ الْفُحْشَ وَالْبَذَاءَةَ أَسْوَأُ شَيْءٍ فِي مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ " انتهى من "مرقاة المفاتيح" (8/ 3177) .

وروى أحمد (6735) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: (أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا) .

وصححه الألباني في " صحيح الترغيب " (2650) .

وروى الترمذي (2018) وحسنه عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ) ، وصححه الألباني في " صحيح الترمذي ".

وروى البخاري (6035) ، ومسلم (2321) عن عبد الله بن عمرو عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا) .

قال النووي رحمه الله :

" فِيهِ الْحَثّ عَلَى حُسْن الْخُلُق , وَبَيَان فَضِيلَة صَاحِبه , وَهُوَ صِفَة أَنْبِيَاء اللَّه تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ ،

قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ : حَقِيقَة حُسْن الْخُلُق بَذْل الْمَعْرُوف , وَكَفّ الْأَذَى , وَطَلَاقَة الْوَجْه .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : هُوَ مُخَالَطَة النَّاس بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْر , وَالتَّوَدُّد لَهُمْ , وَالْإِشْفَاق عَلَيْهِمْ , وَاحْتِمَالهمْ , وَالْحِلْم عَنْهُمْ , وَالصَّبْر عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِه , وَتَرْك الْكِبْر وَالِاسْتِطَالَة عَلَيْهِمْ ، وَمُجَانَبَة الْغِلَظ وَالْغَضَب , وَالْمُؤَاخَذَة " انتهى .

ثانيا :

حسن الخلق يزيد من الإيمان ، وسوء الخلق ينقص من الإيمان ولا يبطله بالكلية ، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

فمن كمال الإيمان حسن الخلق ، والمسلم سيء الخلق ناقص الإيمان .

وقد روى أبو داود (4682) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

وروى أحمد (20831) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الْفُحْشَ ، وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) وحسنه الألباني في " صحيح الترغيب " (2653) .

وهذا مما يدل على أن سوء الخلق نقص في الإيمان الواجب .

راجع إجابة السؤال رقم : (10809) لمعرفة أسباب نقص الإيمان .

ثالثا :

الأصل أن العمل الصالح لا يحبطه إلا الشرك بالله تعالى ؛ قال تعالى : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المائدة /5 .

ومن أصول الخلاف بين أهل السنة وطوائف أهل البدع من الوعيدية : الخوارج ، والمعتزلة ، ومن وافقهم : أنهم يقولون بحبوط الطاعات بالمعاصي .

وأما أهل السنة : فيقولون : إن الكبيرة لا تحبط العمل الصالح ، وإن كان الإيمان ينقص بالمعاصي ، كما أنه يزيد بالطاعات .

على أنه قد ورد في النصوص : أن من الذنوب ما توعد الله صاحبها بحبوط عمله ، وليس ذلك لكل ذنب ، إنما هي ذنوب مخصوصة ، ورد فيها ذلك الوعيد المخصوص ، الذي يوقف عنده ، ولا يقاس عليه ، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ) الحجرات/2 .

وتقدم في إجابة السؤال رقم : (81874) أن المعاصي والبدع تحبط أجر ما يقابلها من الحسنات على سبيل الجزاء .

وينظر أيضا إجابة السؤال رقم : (107241) .

رابعا :

الملتزم بشرائع الإسلام والمتأدب بآدابه لا يكون سيء الخلق ، إنما يحصل سوء الخلق من مخالفة الشريعة ، ومصاحبة أهل السوء ، ثم أسوأ من ذلك ألا يصلح ما هو فيه من سيء الأخلاق ، أو لا يقبل من ينصحه ويدعوه إلى ذلك ، وقد قال تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران/ 133 – 135 .

خامسا :

سوء الخلق ضرره عظيم على الدعوة إلى الله ، فإن الناس ينفرون من سيء الخلق ، سيء التعامل ، ويرفضون نصحه ، ويقولون : ينصح نفسه أولا ، ويُقبلون على حسن الخلق حسن التعامل ، ويقبلون منه نصحه ويستمعون إلى قوله .

فمن ساء خلقه عطل سبيل الدعوة ، وجعل الناس يسيئون الظن بأهل الالتزام ، وأنهم لا يحسنون التعامل مع الناس وينفرونهم .

كما يعود سوء الخلق بالعاقبة السيئة عند التعامل مع غير المسلمين ، حيث إن سوء الخلق ينفرهم من الدين وأهله .

فليتق العبدُ ربه ، أن يكون بحاله وفعاله سببا في صد الناس عن سبيل الله ، أو تنفيرهم من الدين وأهله :

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ، فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ ، وَذَا الْحَاجَةِ) . رواه البخاري (702) ومسلم (466) .

قال المناوي رحمه الله :

" سوء الخلق شر ووبال على صاحبه وغيره فإنه يجذب صاحبه في الدنيا إلى العار وفي الآخرة إلى النار ، قال الشاعر :

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه ** فأصبح مذموماً قليل المحامد .

وقالوا من ساءت أخلاقه لزم فراقه .

وقالوا سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر .

وقالوا يكاد سيئ الخلق أن يعد من البهائم .

فمن رزق حسن الخلق فهنيئا له ، وإلا فعليه بمعالجته حتى يزول "

انتهى باختصار منن "التيسير" (2 /121) .

على أننا نقول هنا أيضا :

إن كثيرا من الناس لا ينصفون أهل الدين ، ولا يعدلون معهم في القضية ، ويرون الصغير منهم فاحشا ، بل لو فعل أحدهم مباحا ، أو طلبا ما رخص له في أمر الدنيا ، قاموا عليه بالشناعات ، والقيل والقال .

وإذا بدرت منه بادرة ، أو وقع فيما لا يخلو منه بشر : أقاموا الدنيا ، ولم يقعدوها .

إن بعض الناس يريد من هؤلاء أن يكونوا أنبياء !!

وبعضهم : يتحين له خطأه ، وزلاته ، ليشنع عليه ، بل على الدين وأهله به ، والله تعالى يحب القسط ، ويأمر كل أحد ، بالعدل مع كل أحد ، كائنا من كان .

وقد أمر عباده أن ينظروا إلى الناس ، ويعاملوهم ، بما يحبون أن ينظر إليهم الناس ، ويعاملوهم به :

روى مسلم في صحيحه (1844) : عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) .

والله أعلم .